موقف أبي سليمان الداراني من الدنيا

تاريخ تسلم البحث: 2005/3/22م تاريخ قبوله للنشر: 2005/8/11م

آنجي مئ. ڤ د ئٍ ا*

ملخص

يعالج هذا البحث موقف أبي سليمان الداراني (ت 215هـ) من المتع الدنيوية واستبصاراته بخصوص أثرها في نفس الإنسان. ففي **القسم الأول** من هذا البحث لمحة موجزة عن داريا التي يُنْسب إليها الرجل وكذلك عمن اشتهر من سكانها في صدر الإسلام؛ وفي هذا القسم أيضا إشارةٌ إلى مكانة أبي سليمان في مسار التصوف الإسلامي. أما في **القسم الثاني** فيعرض البحث لكلمة أبي سليمان بخصوص "تَرْك الدنيا" طريقاً للاستنارة بالحكمة. وينظر البحث هنا في مرجعيْن بارزيْن في تفسير القرآن الكريم ليخلص منهما إلى أن الحكمة المذكورة في القرآن تعني "استنباط حقائق الدين ومقاصده العميقة فيصل الإنسان المؤمن من خلالهما إلى السداد في القول والعمل. "وفي **القسم الثالث** يناقش الباحث ثمانية أقوال لأبي سليمان الداراني ويوضحها، وهي تبين خطورة المُتَع الدنيوية على روح الإنسان. ومن أبرز هذه الأقوال: "مَن صارع الدنيا صَرَعَتْه. "أما **القسم الرابع** من البحث فيتناول أقوال أبي سليمان الأخرى حول هذا الموضوع نفسه، ولكنها هنا تحمل طابعاً إرشادياً عمَلياً؛ فيه تحذيرات تُنَبِّهُ الإنسان إلى المزالق التي يقع فيها حين تستحوذ عليه فكرة إكثار ماله أو حين يتملكه حب التوسع في الرفاه والجاه. وكل هذه الشؤون من شأنها أن تُشْغِلَه عن واجباته وعما كلَّفه به الحق تعالى. وثمة خلاصة في خاتمة البحث، قُصِد منها أن تبرز محور حكمة الداراني من حيث هي كل واحد.

Abstract

This paper tackles the attitude of Abu Sulayman al-Darani (d. 215 A. H) concerning earthly pleasures and their impact on the human soul. In the first part of this research appears a brief account on Daryya, the small town in which Abu Sulayman lived. In the second part، the paper looks at his situation that discarding earthly things is the only way to attain wisdom. From two salient commentators on the Koran it could be induced that wisdom Hikmah

* أستاذ مشارك، قسم الفلسفة، الجامعة الأردنية.

is to bring out and practice the tenets of religion in a sincere way that leads to safety and salvation as well. The third part consists of the discussion of eight of Abu Sulayman's sayings on earthly delights which jeopardize the destiny of the human soul. The forth part deals with other maxims of his in the same vein, but they have the traits and perhaps the ability, for spiritual guidance and instruction. A brief conclusion at the end of this paper is to bring about the gist of al-Darani's whole wisdom.

1. أبو سليمان وداريا:

أبو سليمان: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الداراني الذي ننظر في حكمته الصوفية، ومدارها نبْذ الدنيا والزهد فيها، يُنْسَب إلى داريّا وهي ضاحية تقع إلى الجنوب الغربي من دمشق وتبعد عنها ثمانية كيلو مترات. وقد امتدت حياته عبر النصف الثاني من القرن الثاني ودخلت في بداية القرن الثالث الهجري. وتُوفي عام 215هـ على أرجح الأقوال. فهو من مشايخ الجيل الأول الذين مهّدوا الطريق للحركة الصوفية وأسسوا قواعد آدابها النظرية والعَمَلية. وهم في المجموع ستة أساتذة لهم أتباع ومريدون، وقد سبقهم جيلان من زهَّاد الصحابة والتابعين.

وقد امتاز روّاد الحركة الصوفية عن الزهاد السابقين عليهم بتبني (أ) مبدأ السخاء واعتبار مُقْتنيات الرفاق على الطريق الصوفي حقاً مشاعاً لكل واحد منهم، و (ب) مبدأ الحب الإلهي بوصفه الحافز الأساسي في التزام التصوف[1]. روّاد الحركة الصوفية هم: إبراهيم بن أدهم (ت 162هـ)، ورابعة العدوية (توفيت 185هـ)، والفضيل عياض (ت 187هـ)، وشقيق البلخي (ت 194هـ)، ومعروف الكرخي (ت 200هـ). ونستطيع أن نعتبر أبا سليمان الداراني واحداً من هؤلاء الروّاد، مع أن كتب التاريخ لا تذكر أنه التقى بأي منهم.

نشأ أبو سليمان الداراني في مدينة واسط الواقعة في العراق، ثم هاجر إلى داريّا في شبابه، وعاش فيها معظم سني عمره جاراً لذوي قرباه العنسيين فيها. وإلى عام 1975 الذي نشر فيه الأستاذ سعيد الأفغاني كتاب تاريخ داريا، كانت داريا هي أكبر القرى في الغوطة

الجنوبية. ويبدو أنها كانت أيضا قرية كبيرة في عهد الأمويين وما تلاه، ويبلغ عدد سكانها، فيما يقدَّر الأستاذ الأفغاني، خمسة عشر ألفا. وهي اليوم أكبر من قرية؛ إنها مدينة صغيرة، وقد قامت فيها نهضة عمرانية، إذْ بِنُيتْ عمارات حديثة إلى جانب بيوتها الطينية القديمة. بعض هذه البيوت مهجور اليوم وبعضها الآخر يسكنه أهلهُ ويُعْنون بصيانته[2]. وقد اشتهرت داريا قديماً بكرومها، لكن الجفاف الذي ضرب بلاد الشام عموماً في عاميْ 2000 و2001 قد أثَّر سلباً على حدائق داريا فانصرف كثير من الشباب فيها إلى تعلم النجارة. ففي هذه المدينة الصغيرة ما يزيد على مائة ورشة للنجارة في هذه الأيام. وإلى جانب واحدٍ من مساجد داريا برزت قبةُ خضراء في داخلها مثوى الحكيم الصوفي أبي سليمان الداراني.

والعنوان الكامل لكتاب التاريخ الذي أَسَلَفْنا ذكره هو تاريخ داريا ومن نزل بها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين. وهو مجموعة ترجمات موجزة لشخصيات أكثرها من جيل التابعين ومن الجيل الذي تلاهم، ومنهم مَنْ شغل مناصب رسمية في القضاء والشرطة في الدولة الأموية وبعْضُهم من رواة الحديث النبوي الشريف. وجميع الشخصيات المُترجم لها في الكتاب ممن سكنوا داريا في المدة التي تمتد من صدر الإسلام إلى منتصف القرن الرابع الهجري. ومؤلف كتاب تاريخ داريا هو القاضي عبد الجبار الخولاني، من رجال القرن الرابع، وينتمي إلى أبرز العائلات التي سكنت داريا في صدر الإسلام، وهي من أكثر العائلات بروزاً في داريا إلى اليوم؛ ويبدو أنها كانت كذلك منذ عصر بني أمية. فمن بين سبع وأربعين ترجمة أكثرها لمحَّدثين وموظفين في دولة الأمويين اشتمل عليها هذا الكتاب يوجد ست عشرة شخصية تنتمي لعائلة الخولاني. ومن أبرزهم أبو مسلم الخولاني (ت 44هـ)، وهو رجل تقي من رواة الحديث الشريف وكان يشارك في غزوات الأمويين على بلاد الروم. ومنهم أبو إدريس الخولاني (ت 80هـ)، وكان قاضياً في عهد عبد الملك بن مروان (ت 86هـ)، وممن تُرجم لهم في كتاب تاريخ داريا أيضا سليمان بن داود الخولاني وأخوه عثمان. وسليمان من رواة الحديث الشريف، وكان من أخص أصحاب الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ). وقد عيّنه حاجباً له[3].

ثلث الترجمات في كتاب تاريخ داريا لشخصيات من عشيرة خولان. أما الثلث الثاني فرجال اشتهروا من عَنْس. وعنس وخولان عشيرتان من أُصول عربية خالصة تنتمي إلى قبائل اليمن. وأول من تُرجم لهم من العنسيين في الكتاب المذكور أعلاه هو عمرو بن الأسود العنسي، وقد أُشتُهِر برواية وقائع ومواقف للصحابة مثل عمر بن الخطاب وعُبادة بن الصامت. كتب عبد الجبار الخولاني: "وعمرو بن الأسود هذا عداده في التابعين من الشاميين.... صحَّ عندنا أنه نزل داريا وسكن بها، فإن ولده عندنا بداريا إلى اليوم"[4]. ومنهم كعب بن حامد العنسي، وكان يرأس شرطة الخليفة عمر بن عبد العزيز[5]. أما أشهر رجل عنسي سكن داريا هو باتفاق جمهور المؤرخين الحكيم الصوفي أبو سليمان الداراني.

ويبيّن أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، (ت 562هـ) أن النسبة إلى داريا هي دارائي أو داراني، والثانية أكثر شيوعاً. ويقول عن داريا: "هي قرية كبيرة حسنة من قرى غوطة دمشق... كان منها جماعة كثيرة من العلماء والمحدِّثين قديماً وحديثاً"[6]. وأكثرهم شهرة بالطبع هو "أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني، وكان من أفاضل أهل زمانه وعبّادهم وخيار أهل الشام وزهادّهم"[7]. وقال ابن عساكر (ت 571هـ) بخصوصه: "له الكلام المتين والأحوال السنية". و"كان أحد عبَّاد الصالحين ومن الزهاد المتعبِّدين، وَرَدَ بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام فأقام بداريا حتى توفي"[8].

وحديثاً نشر الأستاذ رياض محمد شحادة، وهو من سكان داريا، كتاب الزاهد العنسي أبو سليمان الداراني[9] في حوالي مائة صفحة. فجمع في هذا الكتاب شتى الأخبار والمواقف المنسوبة لأبي سليمان في حلية الأولياء، وتاريخ بغداد، وتاريخ مدينة دمشق وطبقات الصوفية وغيرها من المراجع. فتناول المؤلف ميلاده ونشأته وهجرته إلى داريا والبلدان التي زارها. وتكلم عن شيوخه، وتلامذته وأشهرهم بالطبع أحمد بن أبي الحواري، وتكلم عن رواية أبي سليمان للحديث الشريف وعن موقفه من المسائل الدينية في عصره. وعالج خصائص زهده وناقش كذلك ما رَوَتْهُ المراجع بخصوص جهاده ومِحنْته.

الحق أن الأستاذ رياض محمد شحادة قد جمع، في الكتاب المذكور آنفاً، أقوال أبي سليمان، وصنَّفها تحت عناوين تخص المضمون. من هذه العناوين: "أقوالهُ في ضرورة العلم". و"أقواله في التوحيد..." و"أقواله في الطاعات والعبادات" وفي "... الذكر وحالات القلب" و"أقواله في الزهد وتَرْك الدنيا..." و"في ترك الشهوات ..." و"في المعاملات والصحبة والسلوك مع الناس"[10]. لكن الأستاذ رياض لم يتصدَّ لأقوال الداراني بالشرح والتحليل والتعليق إلا في أحيان قليلة جداً. وربما لأن هذه الأقوال كانت مألوفة وواضحة للأستاذ رياض بسبب ثقافته الدينية، (التي لَمَسْتُ أنها ثقافة عميقة حينما قابلته قبل عامين)، رأى أن لا ضرورة لشرحها وتحليلها.

أما أنا فأرى أن أقوال أبي سليمان الداراني التي تدور على الزهد في المتُع الدنيوية ونَبْذ ما هو غير ضروري للحياة من شؤون الدنيا بعامة، هي حوالي ثلاثين قولاً ذكر رياض شحادة أكثرها تحت عنوان: "أقواله في الزهد وتَرْك الدنيا ..." وهي تشكّل بمجموعها موقفاً حكيماً متكاملاً يستدعي تحليل هذه الأقوال وتبيين مراميها وتَخيُّلَ مواقف من حياة البشر تُمثّلها وتوضِّحُها. فبحثي الراهن إذن تأملات في حكمة أبي سليمان الداراني تتوخى سَبْر أغوارها وتوضيح أهميتها عندما يسترشد بها الإنسان المؤمن ليس في مجال صلته بالحق تعالى فحسب، وإنما في شؤون معاملاته الأخرى مع الناس في المجتمع أيضا.

2. خصائص الحكمة الأصيلة:

ذهب أبو سليمان الداراني إلى أنه "إذا ترك الحكيم الدنيا فقد استنار بنور الحكمة"[11]؛ أي صار متَّزناً مهتدياً بنور الله تعالى. ويترتب علينا أن نتأمل في البدء بعض أقوال مُفسِّري القرآن الكريم بخصوص "الحكمة". فهذه الكلمة وردت عشرين مرة في القرآن الكريم وعُطِفت في حوالي نصف الآيات التي وردت فيها على "الكتاب" ففسَّرها ابن جُزي (ت 741هـ(في مثل هذه المواضيع بالسنة النبوية[12] و"الكتاب والحكمة" هما: الوحي المُنْزل على الرسول عليه السلام وهذا معنى "الكتاب"، أمَّا "الحكمة" فهي ما ينطق به الرسول عليه السلام من أقوال وما يقوم به من أفعال يكون من

شأنها أن تفصل "المُجمُل" في الكتاب المُنْزل وتوضحُه.

لكن الآية 269 في سورة البقرة تذكر "الحكمة" مفردةً من غير عطفٍ على "الكتاب" أو "فصْل الخطاب". ويردُ فيها أن الله تعالى يَهبُها لمن يشاء من عباده. إذْ قال الحق تعالى في الآية نفسها: **﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**. وقد وهب الله تعالى الحكمة لِلُقمان: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾**[13]. وقد أحصى المفسَّرُ عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 541هـ(ما ذكره المتأولون حول معنى "الحكمة". قالوا: "الحكمة هي المعرفة بالقرآن: فقهه ونسْخه ومُحْكَمه ومتشابهه" (ابن عباس)؛ أو هي: "الإصابة في القول والفعل" (مجاهد)؛ أو هي: "التفكير في أمر الله والاتباع له" (مالك)؛ أو "الحكمة ... خشية الله تعالى" (الربيع)؛ أو هي: "الفهم" (إبراهيم)؛ أو هي "الوَرَع"، (الحسن البصري)[14].

تلك هي أهم التأويلات التي أفصح عنها النابهون من رجال الفقه والحديث في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام وتناقلها الرواة من بعدهم. يذكرها ابن عطية، ثم يعقَّب عليها: "هذه الأقوال كلها ... قريب بعضها من بعض، لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في عمل أو قول. وكتاب الله حكمة، وسنةُ نبيه حِكْمة، وكل ما ذكر هو جنس من الحكمة"[15]. وفي الإمكان نظْمُ هذه الأقوال أو التأويلات غير المتعارضة في عبارة واحدة توجزها جميعاً، فنقول مثلاً: "الحكمة" المذكورة في القرآن الكريم هي: **السَّداد في القول والعمل الذي يستند إلى الفهم والمعرفة العميقة بمقاصد الشريعة، والامتثال لأوامر الحق تعالى مع اجتناب نواهيه بحيث يتجلى الورع وخشية الله في كل فعل أو قول يصدر عن الإنسان المؤمن. وعلى ذلك فالاستنارة بنور الحكمة التي يذكرها أبو سليمان الداراني[16]، هي الالتزام العميق بمقاصد الشريعة بحيث تتفاعل مع إرادة الإنسان على وجه الإيجاب والصدق فتُفضي إلى الرشد والسداد في أقوال الإنسان وأفعاله.**

لكن الإمام محمد عبده (ت 1323هـ(يفسر هذه الآية في ضوء صلتها بالآية التي تسبِقُها فيخلص إلى ربط الحكمة بالتعقل والمعرفة من جهة وتوجيه الإرادة والممارسة الوجهة الصحيحة من جهة أخرى. يقول الحق تعالى: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن**

يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[17] فالحكمة هنا هبة من الله الواسع العليم للإنسان المؤمن كي يتسنى له أن يتصدّى من خلالها لما يعرض له من وساوس الشيطان التي تخوِّفُه من حلول الفقر بساحته وتُزيِّن له اقتراف الآثام. يفسر الأستاذُ الإمام الحكمة هنا بالقدرة على التمييز "بين ما يقع في النفس من الإلهام الإلهي والوسواس الشيطاني. "واعتبر هذه الحكمة العلم الصحيح الذي يميّز الإلهام عن الوسواس. و"العلم الصحيح يكون صفحةً محُكمة في النفس حاكمة على الإرادة توجهها إلى العمل. "والعمل المقصود هنا هو "العمل الصالح النافع المؤدي إلى السعادة. "أما أولئك الذين يحصِّلون معلوماتٍ ومعارفَ كي يعرضوها في المجالس لتعزيز المراء والجدلَ ودون أن يكون لها تأثير في إرادتهم وممارساتهم، فهذه المعلومات تشكل معرفةً خلواً من الحكمة. وذهب الأستاذ الإمام إلى أن "المراد بإيتائه الحكمة من يشاء إعطاؤه آلتها، العقل، كاملة مع توفيقه لحسن استعمال هذه الآلة في تحصيل العلوم الصحيحة ... فمتى رجَحَتْ فيه (أي في العقل) كفة الحقائق طاشت كفة الأوهام وسَهُلَ التمييز بين الوسوسة والإلهام "[18].

وفي الإمكان دمج ما استخلصناه سابقاً من تفسير ابن عطية الماثل في الوجيز مع ما ورد من تفسير الإمام محمد عبده في المنار بخصوص "الحكمة" بعبارة موجزة توحد فيما بينهما: **الحكمة هي استنباط حقائق الدين العميقة ومقاصده من القرآن الكريم والسنة الشريفة، بحيث يكون الإنسان عند أتباعه تلك الحقائق والمقاصد، سديداً مستقيماً في أقواله وأفعاله نابذاً للمعاصي والأوهام الباطلة. وكل قول مُحْكم يستندُ إلى المصدريْن السابقيْن وفيه إمكانية توجيه الإنسان المؤمن إلى السداد هو حكمة.** فإذا تأملنا مجمل مواقف الصوفية الأوائل[19] وآدابهم وجدنا لهم أقوالاً تستند إلى القرآن والسنة وتتجلَّى فيها إمكانية التوجيه إلى السداد. وأول تعريف وصلنا للتصوف كان يتضمن معنى الحكمة بشقيْه: "التصُّوف هو الأخْذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"[20]؛ أي أن التصوف هو الاستمساك بحقائق الدين الأساسية وطرح الانشغال بأمور الدنيا التي يسعى في طلبها أغلبية العوام. بل إن قول معروف الكرخي حين عاتب نفسه قائلاً "يا مسكينُ؛ كم تبكي

وتندبُ؟ أخلص تَخْلُص"[21]، يقع في الصميم من هذه الحكمة ويقدَّم نموذجاً يوضَّحها. معروف الكرخي هنا يشير إلى أن الإخلاص للحق تعالى بالامتثال الجاد للتكليفات التي أمر بها هو طريق الخلاص الوحيد للإنسان. بل إن مبدأ "أخلص تخْلُص" حِكْمةٌ نافعةٌ ليس في مجال صلة الإنسان بالله تعالى فحسب وإنما هي حكمة نافعة في شؤون عمل الإنسان ومعاملاته اليومية مع الآخرين. فإذا كان الإنسان مُخلصاً في معاملاته مُقبلاً عليها بحسن نية، باذلاً أقصى الجهد في إنجازها، فإنه سيخلص من لوم الآخرين له أو من تأنيبهم وعتابهم. إذْ لا تقصير من ناحيته، ولن يكون مضطراً في هذه الحالة إلى مداراة رئيسه أو مُديره وإزجاء النفاق له مثلاً.

ليس موضوع بحثي الراهن الحكمة الصوفية على إطلاقها من غير تحديد، إنما هو مما يندرج تحت هذه الحكمة، وهو كما حدّدناه آنفاً موقف أبي سليمان الداراني من "الدنيا"، من خلال مناقشة حِكَمِهِ التي تدور على هذا المحور. ففي القسم الثالث من بحثي هذا سأناقش أقواله التالية:

أ) "لولا الذنوب لسألناه أن يقيم القيامة، ولكني إذا ذكرتُ الخطيئة قلت: أبقى لعلَّي أتوب".

ب) "لولا الليل ما أحْبَبت البقاء في الدنيا".

ج) "ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح فيها، وإنما الزاهد من ألقى غمها وتعب فيها لأخرته".

د) "من صارع الدنيا صرَعتَهْ".

ه) "الدنيا تطلبُ الهارب منها فإنْ أدركته جَرَحَتْه وإن أدراكها الطالبُ لها قَتَلَتْه".

و) "الزاهد حقاً لا يذمُّ الدنيا ولا يمدحها ولا ينظر إليها، ولا يفرح بها إذا أقْبَلَت ولا يحزن عليها إذا أدبرت".

ز) "جوع قليل وسَهَر قليل وبرد قليل يقطع عنك الدنيا".

ح) "إذا وصلوا إليه لم يرجعوا عنه أبداً، إنما رجع من رجع من الطريق".

أما القسم الرابع (الأخير) من البحث فيتناول بعض أقوال أبي سليمان الأخرى في هذا الموضوع، وهي هنا أقوال ذات مضمون إرشادي. فهي إنذارات وتوجيهات للإنسان المؤمن، وتتعاقب على هذا النحو:

أ) "احذر صغير الدنيا فإنه يجر إلى كبيرة".

ب) "من دواعي الموت ذمُّ الدنيا في العلانية واعتناقها في السر".

ج) "اجعل ما طَلَبتَ من الدنيا فلم تظفر به بمنزلة ما لم يخطرْ ببالك ولم تطلبْه".

د) "مَن كان يومُه مثل أمسه فهو في نقصان".

هـ) "علّموا النفوس الرضا بمجاري المقدور فنِعْمَ الوسيلة إلى درجات المعرفة".

و) "إذا سكن الخوفُ القلبَ أحرق الشهوات وطَرَدَ الغَفْلة من القلبِ".

ز) "لا تعاتب أحداً في هذا الزمان فإنك إن عاتبْتَهُ عاتبك بأشد من الأمر الذي عاتبْته عليه، دعه بالأمر الأول فهو خير له".

3. الطمع الدنيوي وما يُفضي إليه:

يذهب أبو سليمان الداراني إلى أن "من أراد واعظا بيّنا فلينظر إلى اختلاف الليل والنهار"[22]. لا بدّ هنا من إقحام الإنسان الناظر، أي: المراقب، في ثنايا هذا "التعاقب" المستمر لليل والنهار كيما تتم المقارنة على وجه صحيح. إذْ إن الاتعاظ لن يتم تأثيره إلاّ إذا قورن الوجود العابر، الهش نسبياً للإنسان الفرد، بذلك التعاقب الثابت بين الليل والنهار المستمر على وتيرة واحدة منذ أن خلق الله الكون والشمس إلى يوم القيامة. الليل والنهار يتعاقبان على الإنسان، وهو يظن نفسه باقيةً على الحال التي كانت عليها في الأمس مع أن عمرها ينقص في كل ليلة تمر. والدرس الذي يستخلصه المؤمن الحكيم من هذه المقارنة هو أن ينظر إلى مصيره بجد، فيبادر إلى إسباغ المعنى على حياته القصيرة ولا يتركها تمضي سدى من غير هدفٍ أو رسالة ينهض بها. في نطاق هدف الحياة ينبغي للذات أن تمضي من دون حيرةٍ أو ارتباك. فإذا تأمّلْنا جانب "الموضوع" من هذه المقارنة، وهو الليل والنهار، تبيَّن لنا أنهما يشكّلان الفضاء الذي يحقّق فيه الإنسان مهمته أو غرض حياته. لنتخيَّل في هذا الفضاء بُعْداً أُفُقيا ينجز فيه الإنسان معاملاته مع الناس في النهار خاصة:

في السوق وفي المؤسسات الخاصة والعامة، في الساحات وفي الحوانيت والمكاتب، في المسجد عند أداء العبادة، وفي مجال الزراعة والصناعة والحرف، وفي مجال الندوات والاجتماعات وعند السفر. هذه هي "الدنيا" وقوامها الفعاليات التي يقوم بها البشر وكذلك المكاسب التي يُحرزونها ونتناولها بالحديث بعد قليل.

وننظر الآن في البُعد الآخر لهذا الفضاء الذي يكتنف الذات الإنسانية، وهو البعد الرأسي. إنه الليل. وهو ما شكا من طوله نفر من شعراء الجاهلية، لكن الليل ذاته بدا للمتصَّوفة محبذاً مرغوباً. بدا لهم بُعداً زمانياً لازماً كيما تظلُّ روح السالك إلى الله تعالى يقظةً في مواجهة مصيرها. يقول أبو سليمان الداراني: "رأيت الفوائد تردُ في ظُلَم الليل"[23]. أي إنه شعر أن معاني "القرآن الكريم" تنبثق في وعيه وتتبلَّر عندما يجيل النظر فيها ويتفكَّر في هدوء الليل. وقد اعترف مرةً لتلميذه النابه، أحمد بن أبي الحواري: "ربما أَقَمْتُ في الآية الواحدة خمس ليالٍ، ولولا أني بعدُ أدعُ الفكرَ فيها ما جُزْتُها أبداً"[24]. ويبدو أنَّ ما تُلْمِحُ إليه آي القرآن الكريم، وكذلك معانيها العميقة، كانت تتراءى له في ثنايا التلاوة المتأنيَّة التي يعقبها تدبُّر وتفكير. ويتم كل ذلك في الليل.

الحق أن أبا سليمان الداراني يرى أن بعض الخطايا التي يقترفها الإنسان تجعله راغباً في أن تطول حياته على هذه الأرض كيما تُتاح له الفرصة الكافية لمحوها بأعمال البر المناسبة. قال أبو سليمان: "لولا الذنوب لسألناه أن يقيم القيامة، ولكني إذا ذكرْتُ الخطيئة قلتُ: أبقى لعلي أتوب"[25]. ويرى هنا أن إمكانية تعمير الليل بمناجاة الحق تعالى بكلامه واستغفاره وكذلك المبادرة إلى فعل الخير وإسداء النصح للناس، كل هذه الأمور تشكل الميزة التي تجعل أبا سليمان راغباً في البقاء على قيد الحياة. هذا التهجُّد بالطبع من أفعال الإخلاص والاستقامة التي يَجْبُر فيها الإنسان الخَلَل الحاصل في ماضي حياته. ويؤكد أبو سليمان أنه "لولا الليل ما أحْبَبْتُ البقاء في الدنيا"[26]. وفي الوقت الذي كان فيه أبو سليمان الداراني طفلاً صغيراً كان إبراهيم بن أدهم في الثلث الأخير من حياته، يعيش في مدينة صور أو في بعض المدن الأخرى القريبة منها على الساحل الشامي، ويمارس حصاد الحقول في الصيف وحراسة البساتين في الشتاء ويمهَّد بأسلوب حياته البسيط الطريق للصوفية

الأوائل الذين اتخذوه قدوةً لهم. وقد رُوي عنه أنه قال: "لولا ثلاث ما باليْتُ أن أكون يعسوباً: ظمأ الهواجر، وطول ليلة الشتاء، والتهجُّد بكتاب الله ﷻ"[27] أي إن هذه الأمور التي تبدو لنا اليوم صعبة، مثل احتمال الظمأ في ظهيرة أيام رمضان مثلاً، كانت تبدو للمتصوف الأول المزايا التي تجعل للحياة قيمة تستحق أن تُعاش.

ومن الجلي أن اعتياد المتصوفة قيام الليل والتهجد فيه يرجع إلى مسالك الزُّهدة من الصحابة والتابعين. وأكد هذه المسالك إبراهيم بن أدهم عندما هجر في حوالي 130ه حياة الرفاه في بلخ، المدينة الواقعة في أقصى الشرق من خراسان، والتزم حياة الكدْح العضلي في مدن ساحل بلاد الشام. المتصوفة من بعد إبراهيم اتخذوه قدوةً لهم وتناقلوا حكاياته ومواقفه. ولقد روى هو أنه صادف زاهداً عابداً يسهر طويلاً فسأله عن سر ذلك فأجاب: "منَعَتْني عجائبُ القرآن أن أنام"[28]. وكان لإبراهيم بن أدهم صاحب ممن رابطوا في ثغور الشمال وهو علي بن بكار التميمي، وقد سُئل مرة فيما إذا كان إبراهيم كثير الصلاة. "قال: لا، ولكنه صاحب تفكُّر، يجلس ليلَهُ يتفكرّ"[29]. وقد روى أحمد بن أبي الحواري، المتوفَّى سنة 230ه هذه الحكاية: "أصاب إبراهيم بن أدهم وأصحابه ثلج" أثناء سفرهم أو اشتراكهم في حملة بأرض الروم (تركيا اليوم)، فأقاموا خيمة احتمى أصحابه في أمكنتها الدافئة، وأرادوه أن يكون معهم في داخلها فأبى، وبقي إبراهيم جالساً على باب الخيمة مُلتحفاً فروته كأنما يحرسُهم، وكلما تراكم الثلج على فروته نفضه عنها. فلما كان الصبح وأشرقت الشمس خرج أصحابه من داخل الخيمة، وقال أحدهم: "يا أبا اسحق [كنية إبراهيم بن أدهم]، أي ليلة [باردة] مرَّت بنا فأسال الله أن لا يبتلينا بليلة أخرى مثلها. فقال إبراهيم: فكيف لنا بليلة أُخرى مثلها؟"[30] ولعله قصد من ذلك أن تأمل الثلج الذي كان يتساقط في أرجاء المنطقة فيكسوها ثوباً أبيض غامراً هو فرصة للاستبصار في جلال آيات الله على الأرض، وهي فرصة لا تعوَّض.

فإذا تأمْلنا البُعد الأفقي في حياة الإنسان المؤمن، وهو النهار، تراءى لنا عالم الناس الواسع والمُبْهم بسبب اتِّساعه، المُفْعم بالنشاط والفعل، بالعمل الجماعي والمنفرد، بالعَرْض والطلب، بالأخذ والعطاء ... إنه عالم "المصالح المُرسلة"، والمصالح الشخصية بين الناس

في المجتمع. هذا البعد الأفقي، النهار، هو "الدنيا" التي زهد المتصوفةُ في أكثر شؤونها واكتفوا منها بما هو ضروري لإقامة حياتهم؛ وتكلموا عنها بالتهوين من أمرها اتّباعاً للقرآن الكريم[31]. استعمل المتصوفة مصطلح "الدنيا" كثيراً دون أن يحاولوا تفسيره في معاجم مصطلحاتهم الخاصة المبكِّرة التي تحتل أجزاء من اللُمع السّراج الطوسي، ومن الرسالة القُشيْرية. إنما هناك معنيان يتَّضحان في استعمالهم لمصطلح "الدنيا" ويُفهمان من سياق إشاراتهم بخصوصها؛ فهناك "الدنيا المحكومة بالورع"، وهي عبارة عن المكاسب التي يتحرَّى فيها الإنسان أن تكون حلالاً، ليس فيه شائبة، ويكتفي فيها هنا باقتناء ما هو ضروري لاستمرار حياته، ويتوخَّى فيها الامتثال لمبدأ "العفاف وأخْذ الكفاف" على حد تعبير أبي سليمان الداراني[32]. ومن شأن هذه المكاسب، على قلتها، أن تُغني الإنسان عن طلب المساعدة من ذوي قرباه أو من أصدقائه ومعارفه. فمن طلب الدنيا، فيما يقول أبو سليمان، على هذا الوجه الورع المقتصد، أي "مَنْ طَلَبَها حَلالاً واستعفافاً عن المسألة واستغناءً عن الناس لقي الله، يوم يلقاه، ووجهه كالقمر ليلة البدر"[33].

ومن ناحية أخرى هناك "الدنيا المحكومة بالطمع"، وهي سعي الإنسان في تحقيق مكاسب مادية ومعنوية تندرج تحت الإكثار من المال والسعي في طلب الجاه والسلطة والرفاه. وقد رأى أبو سليمان الداراني أن سعي الإنسان من أجل مثل هذه الأهداف التي تزيد عن حاجاته الضرورية اللازمة لبقائه هو في نهاية التحليل من أجل أن يكون الإنسان "مُكاثِراً مُفاخراً. " ومن كان كذلك "لقي الله وهو عليه غضبان"[34]. ذلك أن حياة الإنسان في هذه الدنيا مرحلة عابرة يُختبر فيها معدنُه وقدراته على الامتثال لمبادئ الأخلاق القويمة واحتمال مشاقها، فيكون الإنسان عفيفاً زاهداً في شؤون الرفاه وسائر المباهج الحسية في هذه الحياة ومن ضمنها الصيت والجاه. ليس الزهد، على أي حال، طرح الإنسان المؤمن كل شؤون الدنيا من حياته؛ إنما يقتضي الزهد، قبل كل شيء، "الكدح" من جانب الإنسان، أي: يقتضي منه أن يجدَّ ويجتهد، قبل أن يصير إلى الموت، بأن يؤهِّل نفسه للقاء الحق تعالى ومن ثَمَّ لاستحقاق الثواب منه، بأعماله الصالحات في هذه الحياة، امتثالاً لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾**[35]، يقول أبو سليمان:

"ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح فيها، إنما الزاهد من ألقى غمَّها وتَعِب فيها لآخرته"(36). أي: إن الزاهد على الحقيقة هو الذي يكتفي أثناء حياته في هذه الدنيا بالقليل من المتاع الذي يفي بضرورات العيش، ولا يستريح بعد ذلك إنما يوجه اهتمامه إلى أفعال الطاعات وأفعال الخير بعامة ويُمارسها فيتأهل "للفوز الكبير"، أي للخلود في نعيم الحياة الأخرى.

وهنا قد يتساءل أحدُنا: ماذا يبقى للإنسان من متع الحياة وشؤونها إذا اكتفى بهذا القَدْر الذي لا يتجاوز حد الكفاف؟ والجواب: يبقى الإنسان متمتعاً بأمور هي غاية في الأهمية عند السالكين في معارج الروح؛ بل عند غيرهم ممَّن وُهِبوا القناعة والرضا وأيقنوا أن الحياة في هذه الدنيا، هي في حقيقة الأمر جسر يُعْبر إلى حياة الخلود. هذه الأمور المهمة عند القانعين في حياتهم هي: الاستقامة والعافية(37)، والثقة واطمئنان الضمير؛ وما عداها إنما هي فضول زائدة عن حاجة الإنسان.

وقد دأب أغلبية الناس على التنافس فيما بينهم للاستئثار بأكثر ما في الإمكان من مكاسب دنيوية. أنهم يتنافسون، ولو على نحو خفي، من أجل حيازة المال أو السلطة والجاه وإشباع شهوات الجسد. إنهم يتنافسون إلى حد الصراع. لكن المكاسب الدنيوية شحيحة وإحراز بعض الناس لها يُفضي إلى حرمان كثيرين منها. إذْ من الجلي أنه ليس في الوجود وفرة من مال وسلطة وجاه تكفي لإشباع رغبات جميع الناس في هذا المجال. إن النظام الاقتصادي السائد في هذه الأيام، وحتى في أكثر المجتمعات في الماضي، لا يُتيح للناس أن يحققوا جميع رغباتهم؛ وهي رغبات تتسع وتتزايد في نفوس أكثر البشر من غير حد يقيِّدها. وليس هناك مناصب رفيعة، مثلا في أي مجتمع تكفي كل الطامحين إليها من أفراده. فسمة هذه الدنيا هي "عدم الكفاية" لتحقيق مطامح كل بني البشر. إذن، فلا بد أن يكون في هذا العالم محرومون من تحقيق أمانيهم. وقلة من الناس هم من يكون قانعاً فيرضى بهذا الحرمان. ومن شأن هؤلاء القانعين أن يروا الرزق القليل نعمة من الله سابغة ما دامت تقيم أود الإنسان وتحفظ كرامته.

وهكذا ثمة أناس محرومون من تحقيق أمانيهم الدنيوية وفيهم فئة تلوم الحظَ أو إدارةً

ما في إحدى المؤسسات أو الشركات، على هذا الحرمان. ويرى الشخص الواحد من هذه الفئة أنه يستحق أكثر من هذه المكاسب التي مُني بها، وقد يعتبر أن نصيبه من الدنيا كان سعياً عاثراً. هؤلاء هم المُخْفِقون في الحياة. دأبهم أن يتحسَّروا على ما فاتهم. فهم مهزومون صرَعَتْهم الدنيا عندما دخلوا في مجابهة معها. وأبو سليمان الداراني في محصِّلة رؤاه للدنيا، وهي حوالي ثلاثين رؤية، يرى أن أطماع الناس تودي بهم فتُرديهم، أي: تُفضي بهم إلى المهالك فتصرعهم. هناك إذن، مَن أخفقوا تماماً في تحقيق أمانيهم الدنيوية، كما أسلفنا، فاستحوذ عليهم الإحساس بالهزيمة؛ هؤلاء هم الضحايا الظاهرة لصراع البشر مع الدنيا.

وماذا عن الذين فازوا بالمال الكثير والمناصب "الرفيعة" والجاه الواسع والرفاه المُريح؟ – هؤلاء، فيما يرى الداراني، مصروعون أيضاً، مثلهم مثل المحرومين سواء بسواء. إذْ يقول: "مَن صارع الدنيا صَرَعتْه"(38). ولا يستثني أحداً سواءً أكان سَرِيَّاً غنياً أو فقيراً مُعْدماً. لا يستثني أبو سليمان الداراني أولئك الذين يظنون أنهم خَدعوا الحياة وتخطَّوا حظوظهم السيئة، ففازوا بما يشتهون من مال وجاه ورفاه. ويعتبر أولئك السراة وأولئك الأثرياء ضائعين في خضم مكاسبهم، قلقين خوفاً من ضياعها. فصاحب المنصب الرفيع قلق مشغول بالحفاظ على منصبه، وها هو ينافق رؤساءه ويُمعن في مداجاتهم من أجل هذه الغاية. أما من يعيش متمتعاً بحياة الرفاه فقلقهُ قد يكون أكثر بخصوص بقاء الوسائل التي تُتيح له هذه الوفرة من الرفاه حيث يرتع ويتنعَّم.

ولكي يتَّضح تأثير "المكاسب الدنيوية" على الإنسان، ونتبين أن الإنسان مصروع بسبب هذه المكاسب سواء حصَّلها أو أخفق في تحصيلها، نتخيل، مع أبى سليمان، أن الدنيا امرأة لعوب تحاول إغواء بني البشر، والناس إما فارون منها عازفون عنها أو هم مستجيبون لإغوائها فهم لها طالبون. نتخيَّلُها بالطبع امرأة جميلة من حيث مظهرها لكنها متوحشة في باطنها وحقيقتها؛ وهاهي تتعقَّب هؤلاء البشر، سواء الطالبين لها أو الفارين منها، وتناديهم كي يلتمسوا قضاء أوطارهم في مباهجها. وقد تدرك هذه المرأة/ الدنيا من هو هارب منها فتجعله مُتردِّداً في تصميمه على الفرار، فيلتفت إليها قليلاً. هنا "ستجرحه"،

فيما يقول أبو سليمان الداراني، أي: ستثلم كرامته وتُريقُ ماءَ وجهه إذْ ستجبره على السقوط في مسالك الذلة والنفاق والاستعطاف.

أما إذا كان الإنسان طالباً للدنيا في الأصل وأُتيح له أن يحقق مرادَه منها فإنها ستغرقه في مباهجها فيصير منغمساً في المتع الدنيوية تائهاً عن ماهيته الإنسانية، نائياً عن تحقيق ذاته في المستوى الروحي المطلوب. الإنسان هنا "حي" في الظاهر لكنه على مستوى من البلادة الروحية بحيث نعتبره ميتاً أو كالميت؛ فهو "مقتول" بسبب سعيه الدنيوي. يقول أبو سليمان الداراني: "الدنيا تطلب الهارب منها فإن أدْرَكتْه جَرحَتْه، وإن أدركها الطالبُ لها قَتَلَتْه"[39].

فالإنسان في هذا النموذج التمثيلي إما "مجروح" يُحقِّق النزر اليسير من أمانيه الدنيوية بثمن غالٍ يدفعه الإنسان من كرامته وأمْنه الشخصي، أو هو "مقتول" حين تُغرقه الدنيا بالرفاه فترسخ فيه القسوة والبلادة، وتتلاشى "رهافة الروح" من ذاته، فيكون كائناً حياً على سبيل المجاز، إنما هو ميت في الحقيقة إذْ ينشغل بالحفاظ على أسباب الرفاه عما هو مكلَّف به في هذه الحياة. فالإنسان خاسر في كلتا الحالتين إلا أن يكون فرارهُ إلى الله مُنيباً مُخلصاً.

إذن، ما الموقف السليم من الدنيا؟ – هو موقف الزاهد فيها على الحقيقة، أي: هو موقف الإنسان الذي لا يكترث للدنيا سواء أقْبلت عليه أو أدبرت عنه، سواء غمرَته الخيرات الدنيوية أو كان نصيبه فيها الفقر والحرمان. يقول أبو سليمان الداراني: "الزاهد حقاً لا يذم الدنيا ولا يمدحها، ولا ينظر إليها، ولا يفرح بها إذا أقبلت ولا يحزن عليها إذا أدبرت"[40]. فهل هذا الموقف ممكن؟ ألا نرى الناس على العموم يفرحون إذا أقبلت عليهم الدنيا فازدادت مكاسبهم فيها، وكذلك ألا نراهم يأسون ويتحسَّرون حينما يُخفقون في نيل بعض مآربهم في هذه الحياة؟ الحق أن أبا سليمان الداراني، وسائر الصوفية، لم يستلهموا مسالك عامة الناس حينما أفصحوا عن مواقفهم، وإنما كان الصوفية يتخيلون مسالك هذه الفئة القليلة النادرة من الزهاد المخلصين، ويحذون حذوهم. أو هم يحتذون ما يكون عليه الموقف المثالي للإنسان النبيل من المُتع المادية في الحياة. وهنا نتصور أن المواقف الصعبة تصير ممكنة التنفيذ

حين يسوَّغها العقل. إذْ إن ما يعانيه الإنسان في الحياة قليل يُحتمل قياساً باحتمال العذاب بعد الحساب في الآخرة. فـ "جوعٌ قليل، وسهرٌ قليل، وبرد قليل يقطع عنك الدنيا"[41]، فيما يقول الداراني. أي إنه باحتمال هذه المشقات، التي لا بد من أن يعانيها أكثر البشر في ثنايا حياتهم الدنيا، تنقضي أعمارهم، فتصل فترةُ اختبارهم على وجه هذه الأرض إلى ختامها. فإذا احتمل الإنسان المؤمن وصبر وكان لله عبداً شكوراً فاز في الحياة الأخرى، وهي حياة خلود باقية لا يعرى فيها الإنسان ولا يجوع.

والمهم أن يدفع الإنسان الغَفْلة عن نفسه ويتوخَّى اليقظة في كل مراحل حياته، فلا يتخطَّى حدود التقوى والورع فيقترف الذنوب ويطمع في غفران الحق تعالى. يترتب على الإنسان هنا أن يلتزم الحذر والخشية من سخط الله تعالى، وأن يلتزم، فضلاً عن ذلك، الأخلاق القويمة والصبر على المكاره. ذلك أن الإنسان عُرْضةٌ للسقوط والهلاك حتى وهو في المرحلة الأخيرة من عمره. فإغواءات الشرور في الدنيا كثيرة، ومن السهل على الإنسان سلوك طريق الحماقة. وفعل القبيح يبدو للإنسان أيسر أحياناً من الالتزامات التي تحتاج إلى عزيمة راسخة تُفضي إلى تحقيق السمو الخُلُقي في هذه الحياة. بل تسود الحياة الدنيا إغواءاتٌ تُفضي بالشخص، إذا كان ضعيف الإرادة والإيمان، إلى الإخفاق في تحقيق مصيره الروحي المنشود. يقول أبو سليمان الداراني: "... الهالك من هَلَك في آخر سَفَرة وقد قارب المنزل، والخاسر من أبدى للناس صالح عمله وبارز بالقبيح مَنْ هو أقرب إليه من حبل الوريد"[42]. وهذه الخسارة تُنْبئُ عن عصيان الإنسان لأوامر الحق تعالى مع أنها سهلة ميسرة إذا اعتادها الإنسان بالرضا المطلوب. أما الحَيْدة عن الاستقامة فهي أمارة تدل على وهَن السالك وعلى أنه لم يجرب حلاوة الثبات والالتزام في وجه المشاق. يقول أبو سليمان: "إذا وصلوا إليه [إلى الحق تعالى] لم يرجعوا عنه أبداً. إنما رَجَع من رَجَع من الطريق"[43].

قد يعاني الإنسان وهو يتخذ طريقة في الحياة من الجوع أحياناً؛ فإذا أَمِن الجوع عانى من المرض، فإذا تيسر له وفرة من المال عانى من إغراء اقتناء الأشياء والانشغال بها. يحسب الإنسان أنه في هذه الحياة يحقِّق بسعيه الدؤوب مستقبلاً رفيعاً، مع أن ما يحقِّقه عادة عابرٌ ومشوب بالنقص؛ وتبدو إنجازات الإنسان مع مضي الزمن مثل فُقاعات

الصابون التي ما إن تظهر حتى تأخذ بالتلاشي. الحق أن مستقبل الإنسان الثابت لا يتحقق إلا في الحياة الأخرى؛ أما حياته على الأرض فهشَّة وقصيرة. هي حياة سريعة الزوال إذا قيست بحياة بعض الحيوانات. الحياة هنا مجال لاختبارات الحق تعالى، وهي وإن كانت اختبارات صعبة أحياناً إلا أنها تقع ضمن طاقة الإنسان وقدرته على الاحتمال. هذه بالطبع فكرة "إيمانية" لكنها تتراءى أرضاً صلبة يقف عليها المؤمن الكيِّس الذي ينشد خيراً ثابتاً لا يزول. وصمود الإنسان هنا يشمل الامتثال، بالتسليم والرضا التام، للتكليفات الشرعية، وهي تُنادي الإنسان ليحافظ على نقاء ضميره ونُبْل أخلاقه. نتذكر هنا قولاً لأبي سليمان الداراني كنت قد شَرَحْتُه سابقاً، ألا وهو: "ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح فيها، إنما الزاهد من ألقى غمَّها وتعب فيها لآخرته"[44]. ولعله من اليسير على الإنسان، في أحيان كثيرة، أن يزهد في متُع الحياة، ويكتفي بذلك، كي يَخْلُصَ من عواقب هذه المتُع. وأكثرها ذو عواقب تؤثر سلباً في عافية الإنسان وصفاء ضميره، إذ هي مُتع تُكسِبُ الشخص هماً وغماً في الحياة الدنيا، لأنها تجلب له المرض، أو تُكْسبه نَدَماً وحسرةً عند مواجهة الموت. التحرر من الانغماس في المتع الدنيوية، على أية حال، يشكِّل المستوى السلبي من الزهد، ولا بد له من جانب إيجابي كي يكتمل، وهو أن ينهض الإنسان بالأعمال الصالحات، ويتوخى العدل والإنصاف في جملة معاملاته مع الآخرين، وأن يبذل جهده في نصحهم وإرشادهم إلى الخير والمعروف مهما لقي من عَنَت ومشقة في هذا السبيل.

4. حينما ينشد الإنسان الطمأنينة والسداد:

في الإمكان أن نعتبر بعض تأملات أبي سليمان الداراني بخصوص سلوك البشر في هذه الحياة الدنيا مبادئ إرشادية للإنسان المؤمن كيما تكون حياته خالصة من الهم والغم ومن التحسر على الفائت والندم. فهي ليست حكمة تأملية للوصول إلى الإعجاب بها والتفقه النظري فحسب، وإنما تدعو الإنسان إلى شحذ إرادته كي يلتزم هذه المبادئ في حياته العملية، أو هي تنبيهات تحذِّر الإنسان من أن يكون له "سر وعلانية"، أو أن يكون

راضياً عن مستوى التزامه الخُلقي، بل يسعى إلى تحسينه وتعميقه. ونكتفي هنا بمعالجة سبع من حكم أبي سليمان كي نتبين ما تنطوي عليه من تحذيرات وإرشادات.

أ) يقول أبو سليمان الداراني: "احذر صغيرَ الدنيا فإنه يجر إلى كبيرِه"(45). فثمة أخطاء صغيرة أو ذنوب هينة يقترفها الإنسان ظاناً أنه مضطر إليها كي لا يعكّر صفو حياته الاجتماعية، مع أنه في الامكان أن يتجنبها. يترتب على الإنسان هنا أن يحذر منها، على أي حال، كي لا ينزلق بسببها إلى أمور أخطر وذنوب أكبر يأنف الإنسان السوي عادة منها. فقد يجامل أحدُنا صديقه أو زميله في العمل فيغض الطرف عن بعض هفواته ولا يوجهه إلى الصواب وذلك ليتجنب الصدِّام معه أو يبقى على مودة قائمة بينهما؛ مع أن هذا الإغضاء قد يجر إلى السكوت عن مواقف خاطئة أخرى للزميل أكثر خطورة، وإلى نفاق. وقد يكذب الإنسان كذبة "بيضاء" لا تؤذي أحداً، لكن الإنسان قد يستسهل بعد ذلك طريق الكذب فيمعن فيه من أجل تحقيق منفعة شخصية فيَخْتم الله عليه فيصير كذاباً فيما يتبقى من عمره، وقد يفتضح شأن أكاذيبه بين أصدقائه ومعارفه فيتعرَّض للإحراج من حين إلى حين.

ب) يقول أبو سليمان الداراني: "من دواعي الموت ذم الدنيا في العلانية واعتناقها في السر "(46). المقصود بالموت في هذا السياق هو قسوة القلب وبلادة الروح ويُفترض فيهما (أي القسوة والبلادة) أن لا يكونا مما يتصف به الإنسان الأصيل. ومن الأسباب الخفية للبلادة والقسوة أن يذم الإنسان المكاسب الدنيوية من مال ومنصب وجاه ويدعو إلى نبذها في الظاهر مع أنه في سريرته يُحِّبذها ويرغب فيها ويتحسَّر على ما فاته منها. وقد روى أحمد بن أبي الحواري أنه سمع أستاذه أبا سليمان يقول: "واحزناه على الحزن في دار الدنيا"(47). ويعني: يا لشدة حزني على ما أبديت من أسف، في الماضي، بخصوص أمور دنيوية فاتني تحصيلُها؛ إذ كان يجب علي أن لا أحزن مطلقاً على أمور لو حصَّلْتها بالفعل لكانت عابرةً تدوم لحظاتٍ من الزمن وتمضي وتعقَّبُ حسرةً أو ندماً. يترتب على الإنسان المؤمن، على أي حال، أن لا يكون ذا سر وعلانية، أي: أن لا تكون له جوانب خفية يخشى ذم الناس له لو أطلعوا عليها،

وجوانب أخرى يُجاهر الناس بها ويرائيهم مع أنها ليست من معتقداته الحقيقية. يترتب على الإنسان، باختصار؛ أن لا يفعل شيئاً يخجل منه أو يُحرج بسببه عند انكشافه للناس.

ج) يقول أبو سليمان الداراني: "اجعل ما طَلَبْتَهُ من الدنيا فلم تَظْفَرْ به بمنزلة ما لم يخطر ببالك ولم تطلبه"(48). يعتقد الإنسان أحياناً أن إنجاز شأن من شؤون دنياه، مثل الحصول على شهادة أكاديمية، أو على ترقية في العمل، أو على منصب معين، أو تحقيق الازدهار في تجارة ما، أو النجاح في خطبة امرأة معينة، أمر ضروري لا بد منه، فيُعلَّق على مثل هذه الأمور أهمية بالغة لدرجة أنه يُصْدَم صدمةً شديدة حينما يُخفق في تحقيق الأمر الذي ينشده منها. كأنما يتناسى الإنسان هنا أن سَعْي البشر بعامة عرضةٌ للإخفاق في هذه الدار الدنيا، لأن إرادات الناس تتعارض فيما بينها وكذلك رغباتهم، فتتفاوت حظوظهم في التوفيق والتآلف. فَطَلَبُ مثل هذه الأمور يتضمن بالطبع احتمالات العثار والفشل. فيترتب على الإنسان حين ينشد أمراً من أمور هذه الدنيا أن لا يتوقع النجاح في مسعاه كي لا يُصْدم حين الإخفاق. وبعبارة أوضح: على الإنسان أن يُدْخِلَ احتمال الإخفاق في حسبانه عند الشروع في طلب أمر من أمور حياته. ينشد الإنسان مثلا شهادة أكاديمية لكنه يُخفق في الحصول عليها لظروف معينة تعوقه في تكريس وقته للدراسة أو لأن قدراته محدودة لا تمكنهُ من إنجازها في الوقت المحدد لهذا الأمر. وقد يطمح الإنسان إلى تسنُّم منصب ما فيفوز به غيره؛ وقد يخطب امرأةً معينةً لكنها ترفضه. في مواجهة مثل هذه الأمور يترتب على الإنسان أن يدرك محدوديته في القدرات والوسامة واللباقة، وأن يعي أن التوفيق في المسعى ليس أمراً تحت سيطرته. لا بد للإنسان هنا من نسيان الماضي وإلا وقع فريسة للتحسُّر على الجد العاثر الذي مُني به. الحق أن التحسر على الماضي لا يجدي نفعاً بل هو تضييع للوقت سُدى. ليس أمام الإنسان خيار في هذه الحالة سوى أن ينفض أثر الإخفاق عن نفسه وأن يتناسى ذلك الأمر الذي بذل فيه الجهد، وأن يشرع من جديد في السعي لتحقيق أمر بديل يقع ضمن الإمكانيات المتاحة له.

د) يقول أبو سليمان الداراني: "من كان يومه مثل أمسه فهو في نقصان"[49]. ثمة أناس يمتثلون في سلوكهم لبعض المبادئ الخُلُقية ويقومون ببعض العبادات، ويتجاهلون بعضها الآخر، ويكونون في العادة قانعين بما هم عليه وراضين عما بذلوه من جهد. لكن الإنسان الذي يقنع على هذا النحو بما هو عليه من مقام خُلُقي يتخلف لا محالة عن ركب السالكين إلى الله تعالى. إذ إن الفضائل يستدعي بعضُها بعضَها الآخر، فيكتملان. فالأمانة مثلا تستدعي الصدق. والصبر يتطلب الحلم وسعة الصدر. فالاكتفاء بالتزام بعض المبادئ الخُلُقية يجر الإنسان إلى الجمود وإلى مزيد من التهاون بخصوص بعض القيم الخُلُقية الأخرى. إذن، يترتب على الإنسان أن يتعهد سلوكه بالإصلاح والتحسين على الدوام، كي لا يجمد سلوكُه على وضع معين فيتخطَّاه العاكفون على محاسبة أنفسهم وتحسين سلوكهم. وبِنَقْد الإنسان نفسه واستكمال ما هو عليه من نقص يترقَّى في المقامات الخُلُقية. فمن مقام التوبة إلى مقام الزهد في المتع الدنيوية إلى مقام الصبر والاستقامة، ومن مقام التواضع والشكر إلى مقام الرضا والمحبة. وكل مقام يتضمن الالتزام بالمقامات السابقة عليه. يترتب على الإنسان أن يكون قانعاً بمكاسبه المادية ما دامت تحفظ كرامته وتفي بضرورات العيش. وفي الوقت نفسه عليه أن لا يغتر بوضعه الروحي الخُلُقي، وإنما يحاول السيطرة على أهوائه وصَبَواته الدنيوية ويمضي قُدُماً في ارتياد المقامات الخُلُقية الصعبة. ويأخذ في المران عليها حتى تصير على وجه التدريج من سجاياه الراسخة.

هـ) يقول أبو سليمان الداراني: "علَّموا النفوس الرضا بمجاري المقدور، فَنِعْمَ الوسيلة إلى درجات المعرفة"[50]. الإنسان في هذه الحياة عرضة للشدة والتجارب المؤلمة: من مرض إلى فَقْد بعض الأعزّاء، إلى خسارة في المال فالحرمان من بحبوحة العيش، إلى اضطرار إلى النزوح عن الوطن وقبول العيش في المنفى بدلاً منه ... إلخ، فإذا لم يتمرس الإنسان بالصبر على مثل هذه المكاره عاش متذمراً شاكياً، وربما ساخطاً على أقدار الله. وفي مثل هذا السَّخط إثم كبير. يرى أبو سليمان، هنا، أن الرضا عن صروف القدر من الممكن أن يتعلَّمه الإنسان فيكتسبه بالمران وعلى وجه

التدريج. وقد يستصعب الإنسان الرضا بالمقدور في بادئ الأمر، لكنه يتعلم مع مرور الأيام أن يحتمله ويتقبَّله ويرضى به. فإذا تمَّ ذلك صار الرضا "بمجاري المقدور" خصلةً راسخة في الإنسان، أو تكون شبه راسخة. ويرى أبو سليمان أن هذا الرضا وسيلة الإنسان التي تؤهله لمعرفة لمحات من سنن الحق تعالى ومن تدبيراته في هذا الكون. بهذه المعرفة يدرك الإنسان مثلا أنه لو لم يكن هناك "موت" لازدحمت الأرض بالبشر والحيوانات، من كل نوع، وصار عيش الجميع صعباً فيها بل مستحيلاً. ولو لم يكن هناك مرض يعتري الأصحاء على سبيل المثال، لما انتبه كثير من الناس إلى أنهم في هذا الوجود عابرون. وعند المرض يعلم الإنسان يقيناً أن حياته هشة، وأنها فرصة واحدة، الإنسان مدعو فيها إلى تحقيق ذاته من خلال العمل الصالح. ولو لم يكن ثمة "حرمان" يعتري الإنسان بين حين وحين: حرمان من المال مثلا، أو حرمان من حاسة البصر أو السمع بسبب خَلَل ألمّ بهما، أو حرمان من الحركة بسبب شللٍ ما يعتري القدمين. . . إلخ، لما وقَرَ في نفس الإنسان تقدير النعمة السابغة التي يعيش في كنفها. بمعرفة الإنسان لأنواع الحرمان هذه، سواءً في نفسه أو عند الآخرين، يتجه إلى شكر الله تعالى على ما يسَّره له من حواس سليمة، وأعضاء جسم تؤدي وظائفها، ودَخْل يُقيم حياته القصيرة ويحفظ كرامته.

و) يقول أبو سليمان الداراني: "إذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوات وطرد الغفلة من القلب"[51]. ليس هذا الخوف الذي يتحدث عنه الشيخ في هذه العبارة خوفاً مَرَضِياً ولا خوفاً من صنوف الابتلاء التي تعتري الإنسان في هذه الحياة: أي ليس هذا الخوف خوفاً من الفقر ولا من المرض الذي قد يصيب الإنسان. إنما هو الخوف من الله تعالى، ومن شأنه أن يُفضي إلى التقوى والورع بحيث يصير الإنسان دقيقاً في معاملاته، يتوخى الحق والتسامح فيها. فالإنسان الذي يخاف الله تعالى يكون قانعاً بنصيبه من الرزق ولا يشتهي شيئاً من شؤون الدنيا كالرفاه والجاه. حسْبُه بوصفه تقياً وَرِعاً، النجاةُ من سخط الله تعالى. ومعروف أن شهوات الإنسان للمكاسب الدنيوية، سواء أكانت مادية أم معنوية، تقود صاحبها إلى الضلال في كثير من الأحيان وتكون

مقرونة بالغفلة. وعكس الغفلة اليقظة. وتنبثق هذه اليقظة في وعي الإنسان حينما يتخلى عن كثير من رغباته، فلا يستبقي منها إلا ما هو ضروري لحياة سوية. وحافز هذه اليقظة الروحية هو الخوف من سخط الله تعالى وطلب رضاه عِوَضاً عن سخطه. فإذا سلك الإنسان مسالك الوَرع، وتمرَّس بها، فاعتادها، كانت له أمناً ونوراً. وهنا تغيب شهوات الإنسان أكثر فأكثر من حياته، وتتلاشى منها المسالك الدنيئة التي تهدّد الأمن فيها والاطمئنان.

ز) أوصى أبو سليمان الداراني تلميذه أحمد بن أبى الحواري: "لا تعاتب أحدا في هذا الزمان، فإنك إن عاتبْته عاتبك بأشد مما عاتبْته عليه؛ دعه بالأمر الأول فهو خير له. قال أحمد فجرَّبت [الأمر] فوجدته على ما قال"[52]. صحيح أن عتاب الصديق لصديقه قد يُفضي أحياناً إلى علاقة صافية تخلو من الأكدار وإلى اعتذار المخطئ منهما عن هفوته، وتُفضي إلى التسامح بين الصديقين بعد ذلك؛ لكن كثيراً من الناس حين يُعاتبون بخصوص بعض مواقفهم يلجُّون في المراء والمراوغة فتتكشف سوء الطوية فيهم والإصرار على الخطأ. وقد نصح أبو سليمان تلميذه أحمد بن أبى الحواري أن يكظم غيظه بخصوص هفوات معارفه وأصدقائه ويتجاوزها ويمضي في الحياة من غير معاتبة لصديق. وقد اتَّبع أحمد النصيحة فوجد الأمر على ما ذهب إليه أبو سليمان: أي لمس أنَّ أسلوب إهمال العتاب من ناحيته أفضل من الأخْذ به. يقول الأستاذ رياض محمد شحادة: "هذا في زمانه، فكيف بزماننا الذي يتبجّج كل إنسان فيه برأيه، عالماً كان أم جاهلاً، فلا يقبل نُصحاً ولا تنبيهاً. وانظر أيها الإنسان لعل هذا من دواعي الكِبْر ..."[53] والحق أن كثيراً من الناس يحسون بنقص ما إذا اعترفوا بأنهم تسرَّعوا باتخاذ مواقفهم أو إذا اعترفوا بأنهم اندفعوا في الإفصاح عن كلام مُؤذٍ من غير مسَّوغ. إذ إن الاعتراف بالخطأ مما يندرج في خُلُق التواضع، وهو سجية رفيعة في الإنسان (خلافاً لما تُوحي به تسمية التواضع)، وتدل على نَبْذ الخيلاء التي ذمها القرآن الكريم. كثير من الناس، على أي حال، يشعرون أن خصلة التواضع هذه تَبخس كرامتهم وتُنْقصُ مِن أهميتهم في الوجود.

الخاتمـة:

وخلاصـة القـول: نـتعلم مـن حكمـة أبـي سـليمان الـداراني بخصـوص المتـع الدنيويـة ضرورة القناعة في العيش والزهد في أمور قد يسر بها الإنسان إذا حصلت، مع أنها عابرة سريعة الـزوال، وتُشـغله عن القيـام بواجباتـه الأساسية، وتجعلـه يتحسَّر ويأسف من ناحيـة أخرى إذا مـا فاتـه تحصيلُها. لكن الإنسان إذا أراد أن يحيا حيـاة طيبـة مطمئنـة خاليـة مـن القلـق والنـدم، عليـه أن ينبذ الطمـع ويسـتغني عمـا هـو كمـالي غيـر لازم لاسـتمرار حياتـه. يترتـب علـى الإنسـان أن يلتـزم الزهـد والـورع كـي يتسـنى لـه تحقيـق مقـام "القرب" مـن الحـق تعالى. ومع ورع كهذا ينفر الإنسان من الرفاه لأنـه يؤذي روحـه في الصميم، ومن لم يلتزم القناعة جرَّتْهُ أطماعهُ إلى تشهَّي الكثير من الأمور، واقتضت منه أن يتعب في تحصيلها ويُضطر معها إلى الوقوع في الإثم والخطيئة وسوء الخُلُق. وأكثر مصائب البشر على وجه هذه الأرض هي نتيجة أطماع البشر أنفسهم وسوء تصرُّفهم.

الـهوامش:

(1) من أجل مناقشة أوسع حول هاتين النقتطين، انظر: أديب نـايف ذيـاب: "إبراهيم بن أدهم ونشوء الاتجاه الصوفي. **في دراسات،** م5، ع 2، 1998، ج4، ص385–390.

(2) هذا ما شاهدته في ضاحية داريا أثناء زيارتي لها في بداية تشرين أول 2003.

(3) انظر: الخولاني، القاضي عبد الجبار، **تاريخ داريا ومن نزل بها من الصحابة والتابعين** ....، ط2، تحقيق: سعيد الأفغاني، دمشق، 1975، ص62، 66، 86.

(4) الخولاني، **تاريخ داريا**، ص71.

(5) الخولاني، **تاريخ داريا**، ص90.

(6) السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت 562هـ(، **الأنساب**، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، بيروت، 1988، ج2، ص436.

(7) السمعاني، **الأنساب**، ج2، ص437.

(8) ابن عساكر، علي بن الحسن (ت 571 هـ(، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، بيروت، 1996، ج 34، ص124.

(9) دار السقَّا، دمشق، 1997.

(10) شحادة، رياض محمد، **الزاهد العنسي: أبو سليمان الداراني**، دمشق، 1996، ص51–72.

(11) السلمي، أبو عبد الرحمن (ت 412هـ)، **طبقات الصوفية**، تحقيق: نور الدين شريبة، ط2، حلب، 1986، ص81.

(12) ابن جُزي، محمد بن أحمد (ت 741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، د. ت، م1، ص31، (حرف الحاء).

(13) سورة لقمان، الآية 12.

(14) ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب (ت 541هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: الرحالي الفاروق وزملائه، الدوحة، 1977، ج2، ص256.

(15) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص257.

(16) الاقتباس في رقم 11 سابقاً.

(17) سورة البقرة، الآيات 268، 269.

(18) هذا الاقتباس وما يسبقه من جمل محصورة في هذه الفقرة هو مما يرويه رضا، محمد رشيد (ت 1935)، **تفسير المنار**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، 1999، ج3، ص63، 64.

(19) اقصد بالصوفية الأوائل هنا مشايخ المتصوفة الذين امتدت حيواتهم من 130هـ إلى نهاية القرن الرابع الهجري. وقد ترجم لهم أبو عبد الرحمن السلمي في **طبقات الصوفية** (المذكور سابقا)، وهم حوالي 104 شيخاً.

(20) القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ)، **الرسالة القشيرية**، تحقيق: عبد الحليم محمود وزميله، القاهرة، د. ت، ج2، ص553.

(21) السلمي، **طبقات الصوفية**، ص89.

(22) السلمي، **طبقات الصوفية**، ص81.

(23) السراج الطوسي، أبو نصر (ت 378هـ)، **اللمع**، تحقيق: عبد الحليم محمود وزميله، القاهرة، 1960، ص415.

(24) الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت 430هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت، د. ت، ص262. والسراج الطوسي، **اللمع**، ص354. وابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص127-128.

(25) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص133. وفي الخولاني، **تاريخ داريا**، ص111؛ (مع اختلاف طفيف في العبارة). وكذلك في الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، **تاريخ بغداد**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1977، ج10، ص148.

(26) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص275. ويورد ابن عساكر في **تاريخ دمشق**، ج34، ص146، هذه العبارة مع زيادة هي: "وما أحب البقاء في الدنيا لشق الأنهار ولا لغرس الأشجار".

(27) الأصفهاني، **الحلية**، ج8، ص23.

(28) الأصفهاني، **الحلية**، ج8، ص30.

(29) الأصفهاني، **الحلية**، ج8، ص17.

(30) الأصفهاني، **الحلية**، ج7، ص387.

(31) قال الله تعالى: **﴿وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾**[آل عمران: الآية 185]، لأن الإنسان فيها مغرور مشغول بجلب لذاتها ودفع آلامها. وهي بالنسبة لأغلبية الناس بمنزلة **﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾**[الأنعام: الآية 32] أو هي كاللعب واللهو لا تُفضي، بالنسبة لأغلبية الناس إلى نفع في الحياة الأخرى. على أن الآية التي تستقصي الصفات الغالبة على حياة الإنسان في الدنيا حسب مراحل عمره هي الآية 20 من سورة "الحديد": **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾**، انظر، رضا، **تفسير المنار**، ج4، ص221، ج7، ص299.

(32) روى أحمد بن ابي الحواري أنه سأل أبا سليمان "بم نال أهل المحبة من الله ﷻ ..." فأجاب: "بالعفاف وأخذ الكفاف". ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص149.

(33) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص143–144.

(34) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص143–144.

(35) سورة الانشقاق، الآية 6.

(36) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص273. وترد في أبن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص144، مع اختلاف طفيف.

(37) ذهب أبو سليمان الداراني إلى أن قوما "طلبوا الغنى فحسبوا أنه في جمع المال، ألا وإنما الغنى في القناعة، وطلبوا الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة، ... وطلبوا النعمة في اللباس الرقيق وفي طعام طيب، و[إنما] النعمة في الإسلام والستر والعافية". ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص145.

(38) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص274. السُلمي، **طبقات الصوفية**، ص77. ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص154.

(39) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص258–259. وقد استعمل أبو سليمان أكثر من نموذج تمثيلي واحد في وَصْف الدنيا. إذ يقول مثلاً: "إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة؛ إن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة". ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص136. والأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص26، جُعِلت الدنيا هنا كينونة ذات حيز "تزحم" وتتصف بالأنانية. ويقول أيضاً: "من نظر إلى الدنيا مولية صحَّ عنده غرورُها، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب في قلبه حبها". الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص278، جُعلت الدنيا هنا امرأة مغرورة.

(40) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص141. والأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص266.

(41) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص257. وفي هذه العبارة زيادة في البيهقي، **الزهد**، قارن: رياض شحادة، **الزاهد العنسي**، ص65.

(42) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص276.

(43) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص261. وترد هذه العبارة في ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص151، على هذا النحو: "إنما رجع القوم من الطريق قبل الوصول، ولو وصلوا إلى الله ما رجعوا". قارن أيضاً: الكلاباذي، أبو بكر محمد (ت 380هـ)، **التعرف لمذهب أهل التصوف**، تحقيق: محمود أمين النواوي، القاهرة، 1980، ص156.

(44) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص273.

(45) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص261.

(46) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص275.

(47) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص259.

(48) السلمي، **طبقات الصوفية**، ص80.

(49) الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص266.

(50) السلمي، **طبقات الصوفية**، ص81.

(51) السلمي، **طبقات الصوفية**، ص81.

(52) أبن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج34، ص155. مع اختلاف طفيف في الأصفهاني، **الحلية**، ج9، ص258.

(53) شحادة، **الزاهد العنسي**، هامش (6)، ص70.